واجب الأحزاب الشيوعية المطلق وكذلك العناصر المؤهلة لأن تؤلف أحزابا شيوعية هو أن تقوم بدعاية لصالح سوفييتات الفلاحين، سوفييتات الشّغيلة، دوما وفي كلّ مكان، في البلدان المتأخّرة وفي البلدان المستعمَرة. ويجب عليهم محاولة خلق سوفييتات الشّعب الشّغيل فورا أينما تسمح الظروف بذلك.

يا عمال العالم، اتحدوا

طريق البلشفيّة

موقع أممي للإعلام البلشفي باللسان العربي

عز الدين بن عثمان الحديدي

واجب الشيوعيين المطلق

دار النشر البلشفي العربي

القيروان، فيفري 2020

واجب الأحزاب الشـيوعية المطلق وكذلك العناصـر المؤهّلة لأن تؤلف أحزابا شيوعيّة هو أن تقوم بدعاية لصالح سوفييتات الفلاحين، سـوفييتات الشّـغيلة، دوما وفي كلّ مكان، في البلدان المتأخّرة وفي البلدان المسـتعمَرة. ويجب عليهم محاولة خلق سـوفييتات الشّـعب الشّـغيل فورا أينما تسـمح الظّروف بذلك.

لينين: كلمة أمام المؤتمر الشّيوعي العالمي الثّاني.

فقرة 1 السّوفييتات أو مجالس العمال والفلاحين هي بذرة دكتاتورية البروليتاريا في مرحلة الثورة الديمقراطية، هكذا قال الرفيق ستالين. هي الأداة الحاسمة لتحقيق هيمنة البروليتاريا في الثورة الديمقراطية وتحويلها إلى ثورة اشتراكية وهي الجهاز الأمثل لممارسة قيادة الطبقة العاملة للفلاحين. والسّوفييتات هي الجهاز الأكثر جماهيرية وثورية الكفيل بتحطيم الجهاز البيروقراطي والعسكري للدولة البرجوازيّة. والسّوفييتات هي صلة الربط بين الثورة الاشتراكية في الدول الإمبريالية والثورات الديمقراطية المعادية للإمبريالية في المستعمرات وأشباه المستعمرات، هي ما يجعل هذه الأخيرة جزءا من معسكر الثورة الاشتراكية العالميّة.

يقول لينين:

> إنّ الفلاحين الذين هم في وضع تبعية شبه إقطاعية يمكنهم تقبّل فكرة التنظيم السّوفييتي وتحقيقها في الواقع. إنّ الجماهير المضطهَدة التّي تستغلها الرأسمالية والإقطاعيون والدولة الإقطاعية في ذات الوقت، تستطيع استعمال هذا السّلاح، هذا الشكل من التنظيم، حتى في وضع مثل وضعهم. إن فكرة التنظيم السوفييتي بسيطة. ويمكن تطبيقها لا في إطار العلاقات العمالية فحسب، بل أيضا في إطار العلاقة الفلاحية ذات الطابع الإقطاعي أو شبه الإقطاعي[1]

ويعتبر لينين تبني شعار السّوفييتات في المستعمرات وأشباه المستعمرات والدّعاية له وتطبيقه في الواقع واجبا مطلقا على عاتق الشّيوعيّين في هذه البلدان وكذلك في الدول الإمبريالية:

> من اللازم أن نشير في أطروحات الأممية الشيوعية إلى أن سوفييتات الفلاحين، سوفييتات المستغَلين، وسيلة صالحة لا في البلدان الرأسمالية فحسب، بل أيضا هي كذلك في البلدان التّي تهيمن فيها العلاقات ما قبل الرأسمالية. وإلى أن واجب الأحزاب الشيوعية المطلق وكذلك العناصر المؤهلة لأن تؤلف أحزابا شيوعية هو أن تقوم بدعاية لصالح سوفييتات

[1] لينين، كلمة أمام المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني، 26 تموز 1920. (أنظر كامل النص على موقع: طريق البُلشفية)

الفلاحين، سـوفييتات الشـغيلة، دوما وفي كل مكان، في البلدان المتأخرة وفي البلدان المسـتعمَرة. ويجب عليهم محاولة خلق سـوفييتات الشّـعب الشّغيل فورا أينما تسمح الظروف بذلك.[2]

فقرة 2 في حوار مع الوفد العمالي الأمريكي في سـبتمبر 1927، أكّد سـتالين أن من بين الإضـافات الأسـاسـية للينينيّة إلى نظرية ماركس هي مسـألة هيمنة البروليتاريا سـواء في الثورة الديمقراطية البرجوازيّة أو الثورة الاشـتراكية ويبين سـتالين في هذا الحوار الصـلة الوثيقة بين السّوفييتات وهيمنة البروليتاريا في الثورة:

في مسـتوى رابع، نجد مسـالة هيمنة البروليتاريا في الثورة، في كل ثورة شـعبية، سـواء تلك الموجهة ضـد القيصـرية أو تلك الموجهة ضـد الرأسـمالية. قام ماركس وأنجلس بوضـع خطوط عريضـة لنظرية هيمنة البروليتاريا. والجديد بالنسـبة للينين هو أنه طور بصـورة كبيرة تلك الخطوط العريضـة وجعل منها نسـقا منسـجما اسـمه هيمنة البروليتاريا، اسـمه القيادة البروليتارية التّي تمارس على الجماهير الكادحة في المدينة والريف وذلك سـواء فيما يتعلق بالقضـاء على القيصـرية والرأسـمالية أو في اتجاه البناء الاشـتراكي في ظل نظام دكتاتورية البروليتاريا. نعلم أن هيمنة البروليتاريا قد طبقت بيد معلم خبير من طرف لينين وحزبه في روسـيا. وهذا ما يفسـر، بالإضـافة إلى أشـياء أخرى لماذا أوصلت الثورة الروسـية البروليتاريا إلى السلطة.[3]

ويبين سـتالين كيف أنه في السـابق كان العمال يحاربون في المتاريس ويريقون دمائهم خلال الثورة ويطيحون بالنظام القديم، لكن السلطة تؤول إلى أيدي البرجوازيّة التّي تواصل بعد ذلك اضـطهاد واسـتغلال العمال. ويعطي سـتالين مثال انجلترا وفرنسـا في القرن التاسـع عشـر ومثال ألمانيا بعيد الحرب الأولى.

---

[2] لينين، المصدر السّابق.

[3] ستالين، حوار مع الوفد العمالي الأمريكي، سبتمبر 1927، ترجمتنا.

لنستمع إلى ستالين يصف كيف توصلت البروليتاريا الروسية إلى تركيز هيمنتها على الثورة على عكس ما حصل في الثورات الديمقراطية في فرنسا وانجلترا في القرن 19 وألمانيا بعد الحرب الأولى وعلى عكس ما حصل في الدول التّي ذكرناها بعد النكسة العظمى للبروليتاريا العالميّة إثر وفاة ستالين.

على العكس من ذلك، عندنا في روسيا تغير الوضع. العمال عندنا لم يكونوا مجرد وقود للثورة. سعت البروليتاريا الروسية إلى ممارسة الهيمنة، إلى القيادة السياسية لكل الجماهير المستغلة في المدينة والريف بتجميعهم حولها، بانتزاعهم من البرجوازيّة، بعزل هذه الأخيرة سياسيا. خلال ممارستها للهيمنة على الجماهير الكادحة الأخرى، ناضلت البروليتاريا الروسية دوما من أجل افتكاك السلطة واستخدامها لمصلحتها الخاصة ضد البرجوازيّة، ضد الرأسمالية. لهذا السبب بالذات وفي كل التمظهرات العنيفة للثورة، في أكتوبر 1905 أو في فيفري 1917، نشهد ظهور سوفييتات ممثلي العمال كجنين للجهاز السياسي الجديد بهدف سحق البرجوازيّة، على عكس البرلمان البرجوازي بوصفه آلية سياسية هدفها سحق البروليتاريا.

حاولت البرجوازيّة عندنا مرتين إعادة البرلمان البرجوازي وإلغاء السّوفييتات، في أوت 1917 في فترة «ما قبل البرلمان» قبل أخذ البلاشفة للسلطة، وفي جانفي 1918 خلال «المجلس التأسيسي» بعد أخذ البلاشفة للسلطة. لكن هذه المحاولات باءت بالفشل. لماذا؟ لأن البرجوازيّة كانت قد عزلت بعد سياسيا، فالملايين من الشغيلة الكادحة ترى في البروليتاريا القائد الوحيد للثورة. من ناحية أخرى، كانت السّوفييتات قد أثبتت بعد جدواها كسلطة عمالية، وتيقنت البروليتاريا بأن تعويض السّوفييتات ببرلمان برجوازي كان يعني انتحارا لها. لا غرابة إذن في أننا لم «نأخذ» البرلمان البرجوازي عندنا. لهذا السبب بالذات

أوصلت الثورة البروليتاريا للسلطة. تلك هي نتائج تطبيق النظام اللينيني حول هيمنة البروليتاريا في الثورة[4]

وفي موضع آخر يقدم ستالين خلاصة لـــ«نتائج تطبيق النظام اللينيني حول هيمنة البروليتاريا في الثورة» على الثورة الديمقراطية البرجوازيّة تحديدا.

> في روسيا، فعلى العكس من ذلك، أعطت الثورة البرجوازيّة نتائج معاكسة على خط مستقيم. فالثورة في روسيا لم تقو البرجوازيّة، بل أضعفتها من حيث هي قوة سياسية، ولم تزد قواها الاحتياطية السياسية، بل أفقدتها احتياطها الأساسي، أفقدتها الفلاحين. إن الثورة البرجوازيّة في روسيا لم تضع البرجوازيّة الليبرالية في الصف الأول، بل وضعت في الصف الأول البروليتاريا الثورية، وجمعت حولها جماهير الفلاحين الغفيرة.
>
> وهذا من جملة ما يفسر كون الثورة البرجوازيّة في روسيا تحولت، خلال فترة من الزمن قصيرة نسبيا، إلى ثورة بروليتارية، وكانت سيادة البروليتاريا هي بذرة دكتاتورية البروليتاريا، كانت هي السلّم الذي سمح بالانتقال إلى دكتاتورية البروليتاريا.[5]

فقرة 3 وبعد الهزيمة الكبرى التّي منيت بها البروليتاريا العالميّة بعد وفاة الرفيق ستالين وانقلاب العصابة التحريفية على القيادة البلشفية فقدت البروليتاريا في جميع البلدان هيمنتها على الثورات الشعبية سواء في المستعمرات وأشباه المستعمرات أو في البلدان الإمبريالية. ودفع العمال في جميع أنحاء العالم الثمن غاليا من دمائهم وكانوا وقودا لثورات «الديمقراطية الجديدة» الماوية وثورات «الديمقراطية الوطنية» الخروتشوفية في الصين وفي الهند واندونيسيا ومصر الناصرية والعراق وسوريا البعث وأمريكا اللاتينية. في جميع هذه «الثورات» أطاح

---

[4] ستالين، المرجع السّابق.

[5] ستالين، أسس اللينينيّة.

العمال والفلاحون بالأنظمة القديمة وقدموا ملايين الشـــهداء لكي «تؤول الســـلطة إلى أيدي البرجوازيّة التّي تواصل بعد ذلك اضطهاد واستغلال العمال» كما يقول ستالين.

> ما كان ينقص هذه الثورات، إلى جانب أشـــياء أخرى، هو هيمنة البروليتاريا على الثورة الديمقراطية من أجل تحويلها إلى ثورة بروليتارية، من أجل أن «تؤول الســـلطة» إلى أيدي البروليتاريا بدل البرجوازيّة. لتحقيق هذا الهدف تلعب السّـــوفييتات (مجالس العمال والفلاحين) دورا حاســـما. لا هيمنة للبروليتاريا على الثورة ولا إمكانية لتحويل الثورة الديمقراطية البرجوازيّة (أو الوطنيّة الديمقراطية كما يقال غالبا عندنا) إلى ثورة بروليتارية دون تبني السّـوفييتات كأداة لتنظيم الجماهير، كأداة لقيادة البروليتاريا للفلاحين، كأداة لانتزاع هؤلاء من تحت نفوذ البرجوازيّة، كجهاز للانتفاضة المسلحة وسحق مقاومة البرجوازيّة، كجهاز لتدمير جهاز الدولة البرجوازي، كجهاز للدكتاتورية الديمقراطية للعمال والفلاحين ثم كجهاز لدكتاتورية البروليتاريا.

في جميع تلك الثورات وقع تصـفية النظرية البلشـفية، نظرية لينين وســتالين والأمميّة الثالثة، حول الثورة من الطراز السّوفييتي في المستعمرات وأشباه المستعمرات أي الثورة الديمقراطية المعادية للإمبريالية التّي تفضـي إلى تحطيم جهاز الدولة الاســتعماري أو شــبه الاســتعماري وتركيز الدكتاتورية الديمقراطية الثورية للعمال والفلاحين على قاعدة السّـــوفييتات ومن ثمة الشـروع في تحويل الثورة إلى دكتاتورية البروليتاريا السّـوفييتيّة. في جميع تلك «الثورات» لم يطبق «الشـــيوعيون» أو لم يتمكنوا من تطبيق واجبهم الـذّي حملهم إياه لينين في المؤتمر الشّـيوعي العالمي الثّاني بالدعاية لفكرة السّـوفييتات والعمل على إحداثها ونشـرها في إطار أفق القطع مع الإمبريالية والالتحام بمنظومة الثورة البرولتاريّة العالميّة.

إن تبني شـعار البرلمان البرجوازي والمجلس التأسـيسـي في إطار الثورة الديمقراطية المعادية للإمبريالية (أو الثورة الوطنية الديمقراطية) والتخلي عن شـعار الدكتاتورية الديمقراطية للعمال والفلاحين على قاعدة السـوفييتات، يعني التخلي عن هيمنة الطبقة العاملة في الثورة وإخضـاعها مع جماهير الفلاحين لهيمنة البرجوازية، يعني جعل البروليتاريا «مجرد وقود للثورة»، يعني أن

المهام الديمقراطية نفسها، القطع مع الإمبريالية نفسه، لن تنجز إلى النهاية فضلا عن تحويل الثورة الديمقراطية إلى ثورة اشتراكية. وإن تدبيج بعض الجمل حول "قيادة البروليتاريا" وحول الثورة "ذات الأفق الاشتراكي" دون تبني سوفييتات العمال والفلاحين كجهاز لتنظيم وتعبئة الجماهير، كجهاز لتحقيق قيادة البروليتاريا للفلاحين، كجهاز للثورة المسلّحة وتحطيم جهاز الدولة القديم وكجهاز لدكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية وتحويله في الأخير إلى جهاز لدكتاتورية البروليتاريا- دون كل ذلك لا تعدو تلك الجمل أن تكون سوى وسيلة لإخفاء الطابع الانتهازي والتحريفي لتلك الأطروحات.

لقد نبّهت الأممية الشيوعية إلى ذلك بكل وضوح:

> ينبغي على الحزب أن يشرح للجماهير استحالة تحسين جذري لوضعيتهم واستحالة القضاء على هيمنة الإمبرياليين وحل قضايا الثورة الزّراعيّة دون تحطيم سلطة الكيومينتانغ والعسكريين وإرساء سلطة السّوفييتات.[6]

«ما الذّي يجب فعله الآن؟» يتساءل ستالين في ماي 1927:

> يجب توسيع وتطوير الثورة الزّراعية. يجب إحداث وتقوية مختلف التنظيمات الجماهيرية للعمال والفلاحين– مجالس في النقابات ولجان إضراب في الاتحادات الفلاحية ولجان ثورية فلاحيّة- مع العمل على تحويلها، كلما اتسعت الحركة الثورية وحقّقت نجاحات، إلى قواعد تنظيمية وسياسية لسوفييتات العمال والفلاحين والجنود المستقبلية.[7]

لقد كان ستالين واضحا ودقيقا بخصوص السّوفييتات ودورها في الثورة الصينية والثورة في المستعمرات وأشباه المستعمرات بصفة عامة. يقول:

---

[6] المؤتمر الشّيوعي العالمي السّادس: أطروحات حول الحركة الثورية في المستعمرات وأشباه المستعمرات، 1928، ترجمتنا.

[7] حول مسائل الثورة الصّينيّة، ترجمتنا.

إن تشكيل سوفييتات العمال والفلاحين هو التحضير من أجل تحويل الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى ثورة بروليتارية، إلى ثورة اشتراكية.[8]

فقرة 4 ولكن ما هو مصدر قوة مجالس السّوفييتات بالمقارنة مع أشكال التنظيم القديمة؟ ما الذّي يجعل السّوفييتات جزء لا يتجزأ من النظرية البلشفية عن الثورة البروليتاريّة؟ ما الذّي يجعلها ضرورية وإلزامية لكل الشيوعيين الحقيقيين الذين يعملون على تحضير شروط هيمنة البروليتاريا بهدف تحويل الثورة الديمقراطية البرجوازيّة إلى ثورة اشتراكيّة؟ يجيب ستالين عن كل هذه الأسئلة في مؤلفه «أسس اللينينيّة».

ذلك أن مجالس السّوفييتات هي أوسع المنظمات الجماهيرية للبروليتاريا، لأنها هي، وهي وحدها، تشمل جميع العمال بلا استثناء.

ذلك أن مجالس السّوفييتات هي المنظمات الجماهيرية الوحيدة التّي تجمع جميع المضطهَدين والمستثمَرين، العمال والفلاحين، الجنود والبحارة، وفيها، لهذا السبب، تستطيع طليعة هذه الجماهير، أي البروليتاريا، أن تقوم بالقيادة السياسية لنضال الجماهير، على وجه أسهل، ومدى أوسع.

ذلك أن مجالس السّوفييتات هي أقوى أجهزة نضال الجماهير الثوري، وعمل الجماهير السياسي، وانتفاض الجماهير المسلح، هي أجهزة قادرة على تحطيم جبروت الرأسمال المالي وذيوله السياسية.

ذلك أن مجالس السّوفييتات هي المنظمات المباشرة للجماهير نفسها، أي أنها أكثر المنظمات ديمقراطية، وهي، بالتالي، أكثر المنظمات نفوذاً بين الجماهير، تسهل لهذه الجماهير الاشتراك، إلى الحد الأقصى، في تنظيم الدولة الجديدة وإدارتها، وتطلق، إلى الحد الأقصى، الطاقة الثورية والمبادرة والكفاءات الخلاّقة عند الجماهير المناضلة لتحطيم النظام القديم، المناضلة لإقامة النظام الجديد، البروليتاري.

[8] ستالين، حديث إلى طلبة جامعة صن يات-صن، ترجمتنا.

إن سلطة السّوفييتات هي اتحاد مجالس السّوفييتات المحلية وتكوّنها في منظمة دولة، منظمة عامة واحدة، منظمة دولة للبروليتاريا التي هي طليعة الجماهير المضطهدة والمستثمَرة، والتي هي الطبقة السائدة – إنها اتحاد هذه المجالس في جمهورية السّوفييتات.

إن جوهر سلطة السّوفييتات كائن في أن أوسع المنظمات الجماهيرية وأكثرها ثورية – منظمات تلك الطبقات التّي كانت، على الخصوص، مضطهدة من قبل الرأسماليين وكبار الملاكين العقاريين - تشكل الآن «الأساس الدائم الوحيد لكل سلطة الدولة، لكل جهاز الدولة». وأن «هذه الجماهير نفسها التّي كانت محرومة، بألف طريقة وألف حيلة، من الاشتراك في الحياة السياسية ومن التمتع بالحقوق والحريات الديمقراطية، حتى في أكثر الجمهوريات البرجوازيّة ديمقراطية»، رغم كونها متساوية حسب القانون، «مدعوة اليوم إلى الاشتراك في الإدارة الديمقراطية للدولة اشتراكا دائما محققا وحاسما أيضا.» (لينين: مباحث وتقرير عن الديمقراطية البرجوازية ودكتاتورية البروليتاريا، المؤتمر الشّيوعي العالمي الأول، الأعمال الكاملة، المجلد 24).

هذا هو السبب في أن سلطة السّوفييتات هي شكل جديد لتنظيم الدولة، مختلف من حيث المبدأ، عن الشكل القديم الديمقراطي البرجوازي والبرلماني، هي نوع جديد من الدولة غير منطبق على أهداف استثمار الجماهير الشغيلة واضطهادها، بل على أهداف تحريرها التام من كل اضطهاد واستثمار، أهداف دكتاتورية البروليتاريا.[9]

(...)

فما هي الميزات الخاصة التّي تتصف بها سلطة السّوفييتات؟

[9] ستالين، أسس اللينينيّة.

إن سـلطة السّـوفييتات، مادامت الطبقات موجودة، هي، بين جميع المنظمات الممكنة للدولة، أبرزها صـفة جماهيرية، وأكثرها ديمقراطية؛ ذلك لأنه، نظراً إلى كون هذه السـلطة ميداناً لتعاون وتحالف العمال والفلاحين المستثمَرين في نضالهم ضد المستثمِرين، وإلى كونها تستند في نشاطها إلى هذا التحالف والتعاون، فهي، بسبب ذلك، سلطة أكثرية السكان على الأقلية، ودولة هذه الأكثرية، والتعبير عن دكتاتوريتها.

إن سـلطة السّـوفييتات هي، بين جميع منظمات الدولة في المجتمع الطبقي، أكثرها أمميّة، لأنها، إذ تقضي على كل اضطهاد قومي، وإذ تستند على تعاون الجماهير الشغيلة من القوميات المختلفة، تسهل بذلك، جمع هذه الجماهير في كيان دولة واحدة.

إن سـلطات السّـوفييتات، بتركيبها نفسه، تجعل قيادة الجماهير المضطهدة والمستثمرة سهلة على طليعة هذه الجماهير، على البروليتاريا التّي تمثل أصلب وأوعى نواة في مجالس السّوفييتات.[10]

نشر لأوّل مرّة في:
الحوار المتمدن، عدد 3672، 2012/3/19

[10] ستالين، المصدر السّابق.

عزالدين بن عثمان الحديدي
اغتيال ستالين وتصفية البُلشفية

الأساس المادي
الجدلي والتاريخي
لفكر ستالين وممارسته
عزالدين بن عثمان العديدي
النظرية البلشفية
حول الثورة البروليتار
عزالدين بن عثمان العديدي
عزالدين بن عثمان
قائد الثورة
لثلاثين